

الحمامة التي طارت

مسرحية فائسارية لا تتطابق مع وقائع التاريخ العتيق

تأليف: عبد الله الحامدي

الشخصيات:

الأمير سيف الدولة الحمداني
القائد الروماني (أنطونيو)
الشاعر أبو فراس الحمداني
الشاعر أبو الطيب المتنبي
التاجر قاسم
التاجر سلطان
الوآء الدمشقي
ابن خالويه
ابن جني
الفيلسوف الفارابي
أبو الفرج الأصفهاني
الفتاة الرومانية (جوديث)
حاجب الأمير سيف الدولة
السجان
الطفل
الحمامة

المشهد الأول

أرض المسرح مغطاة بقطعة قماش خضراء كبيرة على امتداد الخشبة، أربعة ممثلين يجلسون القرفصاء في أربع زوايا المسرح ويحركون أطراف قطعة القماش لترسم تموجات متعاكسة ومتداخلة، الخلفية ستارة بيضاء مضاءة باللون الأزرق الفاتح، على يمين المسرح مجسم عمود أثري رمادي اللون ومزخرف بنقوش إسلامية تعود إلى أواخر العصر العباسي.

رجلان يتقدمان ببطء، من عمق المسرح باتجاه الجمهور، هيئة الرجلين تدل على أنهما تاجران من شبه الجزيرة العربية .. هما التاجران قاسم وسلطان، يتبادلان الإيماءات ويحركان أيديهما في الهواء، ما يدل على حديث متقطع بينهما، يرتفع الصوت قليلاً قليلاً، ثم يتضح مع اقترابهما من الجمهور ..

التاجر سلطان: لا، لا .. شعر الوصف ليس سهلاً كما تظن .. فلا بد للشاعر في قصيدته أن يطابق بين الصفة والموصوف، ولا بد له أن يكون صادقاً وأميناً في الوصف.

التاجر قاسم: أنت كعادتك دائماً، لم تغيرك الأسفار قيد أنملة، ثم إنك تقتنع بالشيء إلا إذا جئتكَ بالدليل والبرهان .. يا رجل! هل هناك قصيدة وصف واحدة اشتهرت .. ثم هل هناك قصيدة واحدة قيلت في الوصف وجرت على ألسنة العرب مثل قصائد الغزل أو المديح .. لنكن واقعيين، أعطني قصيدة واحدة، هات، ماذا تنتظر؟!

التاجر سلطان: يا أخي الشعر ليس (باقلاء) في مقهى "بو جسوم"، أو تظن أنك ستقنعني بصوتك العالي، وحججك الواهية، الشعر علم وله قواعد وأصول، وليس كل من هب ودب يفهم به، (متنحناً) .. "لكل مقام مقال"

التاجر قاسم: (يصمت قليلاً ثم يرفع عمامته ليهرش فروة رأسه مستأنفاً الكلام) طيب .. ما رأيك يا فطحل زمانك أن نغير الموضوع ونتحدث فيما نحن ذاهبان من أجله، أليس من الأفضل أن نشترى مائة رطل من الصابون هذه المرة؟

التاجر سلطان: صابون. صابون. حديثك يجوب البلاد والعباد ثم يعود في النهاية إلى الصابون!

التاجر قاسم: نعم صابون. ولا تقل لي: حتى نصل، حتى نصل .. وكم مرة وصلنا ولم يتغير في الأمر شيء، هذا إذا وصلنا سالمين هذه المرة!

التاجر سلطان: خيراً إن شاء الله .. لماذا التطير منذ الصباح؟!

التاجر قاسم: كأنك لم تسمع الأخبار، الرومان مصممون هذه المرة، (يخفض صوته) إنهم يريدون كسر شوكة الأمير سيف الدولة بأي ثمن، وهم يحشدون الجيوش، في الثغور والقلاع والحصون، وحتى في البحر سفنهم و"بطاريقهم" تتحين الفرص .. سمعت أنهم دخلوا "طرسوس" قبل أسابيع فدمروها وسبوا أهلها، وسمعت أيضاً أنهم اتجهوا نحو قنسرين .. ولم يكتفوا بذلك، فقد دسوا عيونهم بين جحافل سيف الدولة.

التاجر سلطان: من أي تأتي بهذه الأخبار؟ فال الله ولا فالك، ألم تكفنا العاصفة الرملية ليلة أمس؟!

التاجر قاسم: كم أنت متفائل! العاصفة .. العاصفة لم تبدأ بعد، (مقهقهة) الرومان يطبخونها هناك جيداً، سمعت أنهم اجتمعوا على رؤوس الجبال وهم ينفخون الريح باتجاهنا.

التاجر سلطان: (بسخرية) ربما .. ولكن على أي حال حمداً لله أننا بلغنا هذه الواحة، فلولا كرم وشهامة أهل "دومة الجندل" الطيبين لرحنا مع جمالنا هباء في الصحراء!

التاجر قاسم: (بلهجة جادة) يا سلطان، كأنك لم تسمعهم يقولون في قافلة (صخر بن عباد) إن قطاع الطرق يستغلون الأوضاع الحالية، وهم يتربصون بكل ذاهب إلى حلب، لقد روعوا الناس والقوافل، ألم تسمع صخراً نفسه يقول: إن الوضع أخطر مما تتوقعون، وقد تقوم الحرب في أي لحظة ..

(الممثلون الأربعة يحركون قطعة القماش بقوة أكبر، ترتفع التموجات ويتعالى صوت الموسيقى كأنها ريح عاصفة بشكل مفاجئ)

التاجر سلطان: (متظاهراً بالهدوء) دعك من هذا التخريف، سنوات ونحن نسمع بهذا الكلام، الحرب .. الحرب تدور فقط في الثغور، أما حلب فهي هادئة ولم تتغير .. (متلفتاً حوله) ولكننا تأخرنا كثيراً، متى سوف نصل؟ .. إذا استمر الحال هكذا سوف لن نصل إلى حلب إلا بعد عشرين يوماً

التاجر قاسم: (متطلعاً إلى الأفق) ولكننا سنصل بعد كل هذا العناء إن شاء الله

التاجر سلطان : حلب تستحق العناء، لا فض فوك أيها المتنبي ..

التاجر قاسم: طبعاً المتنبي، المتنبي دائماً "مالئ الدنيا وشاغل الناس"، وهو قادر أن يفرغها بعبارة واحدة إن أراد! (ينشد الشطر الأول من بيت المتنبي في الطريق إلى حلب) "كلما رحبت بنا الروض قلنا" ..

التاجر سلطان: (مكملاً الشطر الثاني من البيت الشعري) "حلب قصدنا وأنت السبيل"

**(الممثلون الأربعة يهدئون تحريك قطعة القماش، ويواصل التاجران تبادل أبيات الشعر مع موسيقى تتداخل مع أصوات الطبيعة ..
خفيف شجر، وزقزقة عصافير، وخرير مياه)**

التاجر قاسم: "نحن أدري وقد سألنا بنجد/ أطويل طريقنا أم يطول"

التاجر سلطان: "وكثير من السؤال اشتياق/ وكثير من رده تعليل"

التاجر قاسم: "لا أقمنا على مكان وإن طاب ولا يمكن المكان الرحيل"

التاجر سلطان: "كلما رحبت بنا الروض قلنا/ حلب قصدنا وأنت السبيل"

التاجر قاسم: اسمع. الصابون مطلوب جداً. وتجارته لن تعرف الخسارة، الناس تطلب الجديد حتى لو لم تكن بحاجة إليه، الصابون يا (دملة) قلبي وعمامة رأسي أهم من الحرير وأهم من البر وأهم حتى من الخذاريق التي يلعب بها الأطفال.

التاجر سلطان: آه .. عدنا إلى الخذاريق ثانية، أرجوك لا تذكرني بها، قطع الله أيامها، سبقتني في بيعها لكل أطفال "الخور" ثم جئني تضحك كالقاتل في جنازة القتيل لتقول لي بكل وقاحة (مقلداً قاسم): سوف تباع كل ما عندك منها، الأطفال يملون من الألعاب بسرعة وسوف يحطمونها، وبعد ذلك سيعودون إلى بضاعتك .. لم أجد في حياتي تاجراً أكثر احتيالا منك!

التاجر قاسم: تلك حكاية قديمة يا رجل، ألم نتفق على نسيانها، الصابون مختلف، سوف لن تخسر فيه بتاتاً، وحتى لو تأمرت عليك فأنا متأكد أنك سوف تباع كل ما عندك منها وبسعر مضاعف.

التاجر سلطان: (باهتمام) كيف؟

التاجر قاسم: سمعت بعض تجار بغداد يقولون إن الصابون الحلبي بُدعة، يا رجل! الحلبيون ملأوا بلاد العراق بالصابون، في كل بيت وفي كل خان وفي كل حمام، الصابون صار حديث الناس هناك، ويقال إن فيه بركة.

التاجر سلطان: (باندھاش) بركة؟!

التاجر قاسم: أجل، إنه مبارك، الحاج سعود، الحاج سعود نفسه نصحني به، قال لي إنه مصنوع من زيت الزيتون، ولا تقل لي إنك لا تعرف ما هو زيت الزيتون، لقد ورد ذكره في القرآن الكريم، الصابون يا سلطان مبارك بلا أي نقاش.

التاجر سلطان: والله؟

التاجر قاسم: نعم، صدقني .. ولكن فيه علة واحدة .. (مترددًا) ولا تسألني ما هي؟

التاجر سلطان: وما هي؟

التاجر قاسم: (متظاهراً بالغضب) لا إله إلا الله، قلت لك لا تسألني ما هي؟

التاجر سلطان: فقط هذه المرة

التاجر قاسم: (بلهجة اشتراكية) هذه المرة فقط؟

التاجر سلطان: خلاص، قلت لك هذه المرة فقط، أتريد إذلالني بشروطك؟

التاجر قاسم: حاشا لله، اسمع إذًا. الصابون الحلبي، يا أصمعي هذا الزمان، صنعه العرب بأيديهم وبأرجلهم، أتعرف ما معنى ذلك؟ لا رومان ولا فرس ولا أتراك .. ولا هم يحزنون.

التاجر سلطان: لم أفهم، وما العيب في ذلك؟

التاجر قاسم: (بصوت أقرب إلى الهمس) أخشى أن يسمعنا أحد في القافلة، اقترب، الخيام لها أذان وعيون، وقد نصل إلى حلب لنجد جنود سيف الدولة بانتظارنا، و(هילה هوب) إلى قلب السجن ..

التاجر سلطان: سيف الدولة والسجن! هل جنت؟ ما علاقة الصابون بكل هذا؟!

التاجر قاسم: لا تورطنا، أخفض صوتك .. هنا بالذات تكمن المشكلة! هذا النوع من الصابون صناعة حلبية مائة بالمائة، ولو قلنا، فرضاً، إن فيه عيباً، ولو كان عيباً عرضياً وطفيفاً، لأصبحنا نحن وتجارنا في "خبر كان"، أتفهم ما أقول، ربما لن نعود إلى أهلنا سالمين، لأننا سنغدو بنظرهم أخطر من الرومان.

التاجر سلطان: ستقول لي ما عيب الصابون أم لا؟!

التاجر قاسم: حاضر، حاضر، سأقول .. عندما نعود إن شاء الله سيكون الصيف قد حل، صحيح؟

التاجر سلطان: صحيح

التاجر قاسم: والعرب "جماعتنا كما تعلم" لا يحسبون حساباً ليوم الغد، صحيح؟

التاجر سلطان: (باستغراب) صحيح!

التاجر قاسم: وهذا الصابون الذي صنعه الحلبيون، طبعاً في أجوائهم الباردة، إذا لامسته حرارة الصيف عندنا ماذا سوف يحدث له؟

التاجر سلطان: ماذا؟

التاجر قاسم: سوف يذوب ويصبح حساء للصفادع!

التاجر سلطان: إذآ، عدت إلى رأيي الأول .. حرير وحلاوة وسجاد وبعض الحاجيات والأدوات المنزلية .. فقط.

التاجر قاسم: لا حول ولا قوة إلا بالله، "خلق الإنسان عجولاً"، أنت دائماً مستعجل، دعني أكمل حديثي، ولا تقاطعني أرجوك.

التاجر سلطان: تفضل يا حاج قاسم وأكمل، (مقلداً طريقة قاسم بالحديث) .. سوف نشترى الصابون، ولكن فيه عيب، ولا تسألني ما هو، ثم لا أدري .. يا أخي خذ ما شئت ودع ما شئت، أما أنا فلن أتاجر ب"سم الأفاعي" هذا .. لن أتاجر هذه المرة سوى بالحرير، الحرير فقط .. فهو خفيف الحمل، كثير الربح، كما أنه مذكور بالقرآن الكريم.

التاجر قاسم: يا حبيبي، يا قرّة عيني، تفقهوا في الدين قليلاً .. "أبو لهب" أيضاً مذكور في القرآن الكريم، ليس المهم أن يكون مذكوراً في القرآن وحسب، اصبر قليلاً واسمعني جيداً، يمكن أن نحل هذه المشكلة بسهولة .. نلف "أبو لهب"، أقصد الصابون، بالخيش ثم نحفظه داخل الصوف

ونربطه بإحكام ثم نضعه في الرحال، فيبقى محفوظاً من الحرارة وتنتهي المشكلة تماماً.

التاجر سلطان: أنت على استعداد أن تقول أي شيء وتفعل أي شيء، فقط من أجل أن لا تخسر، حتى في الكلام .. ولكن كما تشاء، افعل ما بدا لك، ليس الأمر غريباً، ف"كل شيء عند العرب صابون"!

(يضحك التاجران قاسم وسلطان .. يعودان إلى عمق المسرح في الجهة المقابلة)

التاجر سلطان: "كلما رحب بنا الروض قلنا"

التاجر قاسم: "حلب قصدنا وأنت السبيل"

(يسدل الستار)

المشهد الثاني

صالة مستطيلة ذات جدران حجرية، شمعتان ضخمتان على اليمين واليسار، فتاة رومانية شقراء (جوديث)، الفتاة ترتدي وشاحاً أحمر ملفوفاً حول رقبتها وباقي جسدها، تتزين بالحلي الفضية ذات الأحجام الكبيرة، بجانبها قائد روماني يعتمر خوذة دائرية، ويرتدي درعاً ونطاقاً حديدياً علق بجانبه سيف عريض مجرد .. يدور القائد حول نفسه، ثم يذرع المسرح جيئة وذهاباً، إلى أن يسمع طرقة على الباب الحديدي الأسود على يسار المسرح ..

القائد أنطونيو: أدخلوه!

(اثنان من الجنود الرومان يدفعون بالتاجر قاسم معصوب العينين إلى قلب الصالة، يكاد يرتمي على الأرض، لكنه يتماسك، يطلب القائد الروماني فك العصاة عن عينيه، يفرك قاسم عينيه بشدة محاولاً الوقوف، وهو مذهول مما يجري من حوله)

التاجر قاسم: يا جماعة. يا جماعة أنا مجرد تاجر. ماذا فعلت حتى تفعلوا بي كل هذا، أين أنا؟!

القائد أنطونيو: في حضن أمك!

التاجر قاسم: أستغفر الله، منذ يومين لم أذق طعاماً، أنا عطشان، قولوا فقط ما هو الذنب الذي ارتكبته؟

القائد أنطونيو: هذا السؤال توجهه إلى سيدك، القائد الهمام سيف الدولة، لنرى أين السيف وأين الدولة؟!

التاجر قاسم: لا أفهم ما تقول، أنا مجرد تاجر من الجزيرة العربية، أشتري وأبيع، هل التجارة حرام؟

القائد أنطونيو: لا يا حبيبي، ليست حراماً .. إنها جريمة!

التاجر قاسم: جريمة!

القائد أنطونيو: نعم جريمة، ألا تعلم أن التجارة في زمن الحرب جريمة ..
ولصالح من .. أعدائنا! إنها جريمة يعاقب عليها قانون روما العظمى!

التاجر قاسم: هل أنا في روما؟!

القائد أنطونيو: ليت الأمر كذلك، لكان أرحم لك.

التاجر قاسم: (ينظر حوله خائفاً مرتعداً ويحدد نظره على الفتاة الرومانية)
.. أرحم؟!

القائد أنطونيو: هل تريد أن تقنعني أنك كنت تحلم بالفستق والحريز
عندما تسللت من الثغر الجنوبي؟

التاجر قاسم: الثغر الجنوبي، أول مرة أسمع بهذا الاسم؟

القائد أنطونيو: كلكم في البداية تقولون ذلك، لم تسمعوا بالشيء، وبعد
(كرباجين) تتذكرون حتى حليب أمهاتكم في المهد .. كم أنت مسكين ..
كنت تتجول في الهواء الطلق عندما هاجمنا الحمدانيون على حين غرة،
مرت فصائلهم فجأة بالقرب منك، ثم فوجئت مثلنا بصراخاتهم وعواء خيولهم،
أليس كذلك؟

التاجر قاسم: أبداً لم يحدث، كنت أرى ما إذا كان طريق الوادي الغربي
أقرب للقافلة، ولا أدري ما الذي حدث بعد ذلك ..

القائد أنطونيو: ولحسن حظك أنك لم تدر حتى الآن ..

(لحظات صمت، يواصل القائد أنطونيو تحركه داخل الصالة جينة
وذهاباً، خطواته متوترة، يستغرق في التفكير، ينظر باتجاه الفتاة
التي لا تكف عن التمايل والابتسام، وفجأة يلتفت إلى التاجر الذي
يبدو عليه الإعياء واليأس ..)

القائد أنطونيو: قلت لي إنك تاجر، وإنك لا تدري كيف أتيت إلى هنا ..
حسناً لديك فرصة واحدة، فرصة واحدة وتنجو فيها بنفسك

التاجر قاسم: فرصة واحدة؟!

القائد أنطونيو: فرصة أقل من واحدة

التاجر قاسم: يا إلهي. ما الأمر؟ طيب أعطني (ثلاثة احتمالات) ..

القائد أنطونيو: (يلتفت مخاطباً الفتاة الرومانية جوديث) ما رأيك .. نعطيه؟

جوديث: (بدلع) نعم، أعطه يا سيدي، لم لا؟

القائد أنطونيو: أراك متحمسة، (مقلداً إياها) نعم .. لم لا؟!

جوديث: (بمكر) أنت الذي قلت ..

القائد أنطونيو: أنا سألتك ولم أقل

جوديث: (ضاحكة) ولكنه يبدو تاجراً مسكيناً، ثم إنه ظريف .. ولذيذ

التاجر قاسم: (مندهشاً) أنا؟!

القائد أنطونيو: لذيذ! ما رأيك أن تقشريه وتأكله

جوديث: (تزداد ضحكاً ودلعاً) نعم، ولكنه يلبس أشياء كثيرة

القائد أنطونيو: (يعود إلى حديثه) جوديث! كفى هرجاً .. أيها التاجر قلت لي ما اسمك؟

التاجر قاسم: قاسم يا سيدي .. قاسم

القائد أنطونيو: عقلك في رأسك فاعرف خلاصك، هو احتمال واحد، وعليك أن تفكر فيه جيداً .. أنت تبيع ونحن نشترى (مشيراً بإبهامه وباطن سبابته كدلالة على عملية دفع النقود)

التاجر قاسم: (كأنه يحدث نفسه) والله إن الرومان مجانين، قبل قليل كان يقول إن التجارة جريمة، والآن .. تبيع ونشترى .. ما الحكاية؟

القائد أنطونيو: ها .. ماذا قلت؟

التاجر قاسم: (مرتعداً) ماذا يا سيدي، لم أقل شيئاً .. كنت تتحدث عن البيع، وأنكم ستشترون، ماذا تشترون مني، (يضع يديه في جيوبه) حتى نقودي أخذتموها!

القائد أنطونيو: سنعيدها إليك حتى آخر درهم، ولكن ليس قبل أن نتفق .. ركز معي، سوف نعيدك إلى أسوار حلب، ثم تدخلها كأن شيئاً لم يكن، تبحث عن رفاقك، ثم تشتري من هناك كل ما تستطيع حمله، كل ما تستطيع .. البر والتمر وكل ما يؤكل، ما يؤكل فقط، وتعود إلى الثغر، المكان الذي قبضنا عليك فيه، وكان شيئاً لم يحدث أيضاً .. ثم اترك الباقي علينا.

التاجر قاسم: أعود مرة أخرى إلى الثغر، ما الفائدة؟!

القائد أنطونيو: نعيد إليك نقودك التي أخذناها، ومعها ثمن البضاعة التي تأتون بها في قافلتكم، وبسعر مضاعف، ما رأيك؟

التاجر قاسم: (يحاول أن يستوعب الأمر، يفكر بذهول .. ثم يجيب) ولكن هل تظن أن مثل هذا الأمر سوف يمر على جنود سيف الدولة مرور الكرام، بل كيف سيتركونا بعد ذلك، نأخذ مؤنهم في زمن الحصار ونقدمها لأعدائهم! ثم يعتقدوننا، هكذا لوجه الله .. ماذا تقول يا سيدي؟! لم أعد أستوعب شيئاً، أنا متعب، متعب فعلاً ..

القائد أنطونيو: (ينظر إلى جوديث ويغمز بعينه لها) .. يا سيد قاسم أنت تاجر، بل أنت تاجر ذكي، ومعك الحق فيما تقول، ولكن يمكن أن نحل هذه المشكلة ببساطة .. سوف نهجم القافلة عند عودتكم، لا تخف، سوف نتظاهر بذلك، نأخذ منكم كل بضاعتكم التي تكونون قد حملتموها من حلب، ثم نعطيكم النقود ونخلي سبيلكم .. (مقهقهاً) نتظاهر بإخلاء سبيلكم!

التاجر قاسم: يا ابن اللئيمة!

القائد أنطونيو: ماذا؟

التاجر قاسم: (ساهماً) دعني أفكر

القائد أنطونيو: أنت تاجر، الأمر لا يحتاج إلى تفكير

التاجر قاسم: لكن الأمر ليس بهذه البساطة، جند سيف الدولة لا يتسلون بطرد الذباب هناك، عيونهم مفتوحة، ومستعدون دائماً لكل طارئ، لا أدري كيف تزلقت من بين أيديهم مثل صابونة ووقعت بين أيديكم؟!

القائد أنطونيو: لا تعجب من شيء وأنت في حضرة الرومان، إنك تاجر طيب يا ..

التاجر قاسم: قاسم يا سيدي قاسم

القائد أنطونيو: فكر بالأمر جيداً يا قاسم! (ينادي الحرس) .. أكرموه!

(يسدل الستار)

المشهد الثالث

القائد أنطونيو يجلس متكاً على كرسي فخم ومزخرف بالنقوش الرومانية المميزة، يتناول بين فينة وأخرى كأس الخمر ويعب منه بكميات كبيرة، بجانبه يجلس التاجر قاسم على كرسي مماثل، يتناول ما في كأسه بحذر، أمامهما صحن من الفاكهة، جوديث تجلس ملاصقة للتاجر قاسم، فيما تتوسط خشبة المسرح سجادة دائرية مطرزة، ترقص عليها مجموعة من الحسناوات ..

القائد أنطونيو: (يواصل ضحكه الهستيري، يتجشأ مرات عديدة بفعل الخمر ..) إنها فكرة مضحكة فعلاً، رمينا بك في السجن ثم هربت ..

التاجر قاسم: (يتظاهر بالاستغراق في الضحك وهو يرفع كأسه كنخب لصديقه الجديد القائد أنطونيو) أجل يا سيدي .. لن يكون الأمير سيف الدولة أذكى من الإمبراطور "نقفور"، بل لن يكون أذكى من أي قائد روماني مثلك ..

القائد أنطونيو: (يندفع منحنياً بجسمه نحو الأمام كأن أحداً لكزه من الخلف، ثم يرفع صدره مستنكراً) أي قائد .. أنا أي قائد؟!

التاجر قاسم: (مرتبكاً) كلا يا سيدي .. لم أعني هذا، ولكن قصدت أن الإمبراطور نقفور نجح في اختيارك حين عينك في هذا الثغر الحساس

القائد أنطونيو: الحق يقال، كان ملككم هارون الرشيد فارساً وكان قائد دولة حقيقي، أما هذا الذي يسمى سيف الدولة، فهو .. لا شيء، سوف ترى كيف سيتقهقر هو وجنده إلى آخر الصحراء، سوف يسلمنا بنفسه مفاتيح البلاد، مدينة وراء مدينة، وقلعة وراء قلعة، سوف أجعلك أنت بالذات، أيها التاجر قاسم، ترى ب"أم عينيك" كما تقولون أنتم العرب، سيف الدولة وهو يجر جر ذيول الخيبة وراءه، سوف يغادر قصوره ذليلاً كي ينجو بنفسه، هو وأهل بيته ..

التاجر قاسم: ولكنك قلت إنه لم يوافق حتى الآن على مبادلة ابن عمه المسجون لديكم بالأسرى الرومان

القائد أنطونيو: (بغضب) سوف يوافق، إنها مجرد مسألة وقت

التاجر قاسم: (وقد بدا عليه السكر واضحاً) الأمير سيف الدولة لا يفعلها، وهو أنبل من أن يحرر قريبه من الأسر ويدع سائر أسراه من الرعية .. أقصد هذا ما يقال

القائد أنطونيو: هذا ما يقال .. ها أنت تفهم بشؤون الأمراء والرعية، قل لي من أنت أيها الرجل؟

التاجر قاسم: من أنا؟ يبدو أنني تناولت الشراب أكثر من اللازم .. أيها القائد دعني أقول لك شيئاً مهماً، أحوال البلاد هذه الأيام جعلت كل الرعية أمراء على بلادهم، إن قلوبهم على أولادهم وأمهاتهم وزوجاتهم وأرزاقهم، إنهم ينامون كالذئاب، عين مغمضة وعين مفتوحة على آخرها، تراقب ما وراء الحصون والأسوار ..

القائد أنطونيو: (يسعل ويتجشأ) لماذا تصر على تعكير مزاجي في هذا المساء، كنت ظريفاً قبل قليل ..

التاجر قاسم: وما زلت كذلك يا سيدي، ولكنها الخمرة، يبدو أنها خمرة عربية، فهي خمرة غبية أحياناً، حيث لا تميز بين قائد عظيم مثلك، وبقية الشاربين من الرعا

القائد أنطونيو: (يعود إلى مزاجه الرائق مبتسماً) فكرتك جيدة على أي حال، أنت بارع في التآمر يا قاسم .. (ملتفتاً على حين غرة إلى قاسم) ولكنني غيرت رأيي! سوف أرسلك إلى سجن القسطنطينية .. هه ماذا قلت؟ ما رأيك؟ إنها فرصة لتشاهد ابن عم الأمير سيف الدولة، سوف تشاهده هناك مقيداً بالأصفاد، ذلك الفارس الذي لا يجارى، لقد أسرته بنفسي، عندما تراه لا تنس أن تقول له إن الرومان أغبياء كخمرتنا .. (يقهقه عالياً ..)

التاجر قاسم: (يتظاهر بعدم الانفعال، ويضع يده على كتف جوديث) سوف لن أنسى أن أقول له أيضاً إن نساءكم جميلات ..

القائد أنطونيو : (ينهض وييده الكأس سائراً باتجاه باب الصالة الكبيرة متأهباً للخروج ومخاطباً التاجر قاسم دون أن يلتفت إليه) ليت جميع العرب ظرفاء مثلك، لقد أضحتني بما فيه الكفاية اليوم .. استعد للرحيل إلى القسطنطينية فجر الغد يا قاسم .. القسطنطينية أجمل مدن الأرض .. إنها بانتظارك .. كل الدروب تؤدي إلى سجن القسطنطينية!

(يخرج القائد الروماني أنطونيو مقهقهاً ومتعثراً بمشيته)

جوديث: أهذا ما كنت تبحث عنه؟ ها قد قرر إرسالك إلى سجن القسطنطينية اللعين .. أنت لا تعرف ذلك السجن، سوف لن يعرف أحد سوى الرب متى يمكن أن تخرج من وراء القضبان

التاجر قاسم: ماذا دهاك يا امرأة؟ هل جنت؟ وهل أنت حريصة علي أكثر مني!

جوديث: لقد فعلت المستحيل حتى جعلت أنطونيو يثق بك

التاجر قاسم: (هازئاً) أرجوك، لا تقولي لي إنك عشقتني ووقعت في غرامي من أول نظرة .. وأنت لا تستطيعين فراقني بعد اليوم!

جوديث: هو كذلك بالفعل أيها المجنون .. ولكن صحيح، يحق لك أن تهزأ بي، أنا المجنونة عندما استسلمت لمشاعري .. لتجيء أنت وتهدم كل شيء بجرعة واحدة من هذه الكأس اللعينة (تنزع الكأس من يده)

التاجر قاسم: أعطني إياها .. جودي لا تدفعيني إلى حافة الغضب!

جوديث: كل هذا من أجل ماذا؟ من أجل عيني سيف الدولة، (تقلد طريقة قاسم في الكلام) "الأمير سيف الدولة لا يفعلها"، ولماذا لا يفعلها، بل يفعلها، و"يفعل أبوها" ليحافظ على عرشه .. وسيدتي العذراء هذا السيف الدولة لا يساوي شعرة في مفرقك!

التاجر قاسم: (غاضباً) قلت لك لا تغضبيني، اصمتي يا امرأة، سيف الدولة هذا رغم كل شيء رجل، رجل في زمن قلت فيه الرجال .. أم أنك حسبت أنني كنت سأخون وطني كما ظن هذا "العلاج" السكير؟!

جوديث: (مغالبة دموعها) لا، لم أحسب، بل عرفتك أول ما رأيته، الفرسان يعرفون لأول وهلة .. ولهذا أحببتك وللأسف!

التاجر قاسم: (يقترب من جوديث، يأخذ كأس الخمر من يدها في غفلة منها، يملؤها من جديد ويفرغ كل ما فيها بجوفه) ولكنك ما زلت تحبين ذلك الأبله، ذلك الذي يسمونه أنطونيو ..

جوديث: (تضحك وهي تمسح الدموع على خديها) لقد بدأت تغار، مثلك لا يغار يا قاسم، ولكن أكمل، كلامك هذا يسعدني ..

التاجر قاسم: (يقترب من جوديث من جديد، يمسك خصلة من شعرها ويجذبها إليه في ود) أنت تعلمين أنني لا أغار من هؤلاء البلهاء، ولكنني أغار من نسمة الهواء إن حركت خصلة من شعرك!

جوديث: (بخجل) أنت مجنون والله مجنون، أتعرف ما الفرق بينك وبين أنطونيو؟ هذه الغيرة التي تتطاير شرراً من عينيك، هل صحيح أن العرب يحبون حتى الجنون؟!

التاجر قاسم: أتسألين وأمامك أحدهم؟!

جوديث: (معاتبة) إذن لماذا لا تطاوعني، لماذا تصر على الدفاع عن سيف الدولة، أنت لا تحبني ..

التاجر قاسم: بل أحبك!

جوديث: حتى لو حلفت لي بأعلى ما عندك، حتى لو حلفت لي برأس سيف الدولة نفسه فلن أصدقك، اثبت لي ذلك

التاجر قاسم: (صارخاً) وكيف أثبت لك؟!

جوديث: (تبتعد عن التاجر قاسم إلى الجهة المقابلة له في المسرح وتلفت إليه قائلة بحسم) افعل ما طلبه منك أنطونيو .. افعل ذلك من أجلي

التاجر قاسم: (يستشيط غضباً) أتريدني مني أن أبيع وطني؟! أن أسرق طعام الناس وهم في أمس الحاجة إليه، أهذه هي الفروسية التي كُتت تتغزلين بها قبل قليل .. أنا على ثقة أنني حتى لو غيرت جلدي كالحرباء، وحتى لو أصبحت رومانياً أكثر من روما، فسوف يرسلني هذا العالج إلى السجن، أتعرفين لماذا؟

جوديث: لماذا؟

التاجر قاسم: لأنني عربي .. والعربي لا يخون .. (يلتفت إلى الجمهور) أعني فيما مضى!

(يسدل الستار)

المشهد الرابع

زنزانة الشاعر أبي فراس الحمداني في القسطنطينية، نافذة صغيرة وعالية بقضبان غليظة سوداء، حمامة ترقد على حافة النافذة، يجلس أبو فراس على مصطبة محاذية لأحد جدران الزنزانة، المصطبة مغطاة ببساط رمادي قاتم، قنديل مشتعل معلق على الجدار، كل شيء في الزنزانة يشي بالحزن، يمسك أبو فراس لفافة صفراء من الورق المهترئ بكلتا يديه، يضم اللقافة إلى صدره، أمامه محبرة كبيرة وريشة للكتابة، صوت المطرب ناظم الغزالي يصدح في أرجاء الزنزانة بقصيدة أبي فراس نفسه: "أقول وقد ناحت بقربي حمامة / أيا جارتا، لو تشعرين بحالي / أيا جارتا ما أنصف الدهر بيننا / تعالي أقاسمك الهموم تعالي / أياضحك مأسور وتبكي طليقة / ويسكت محزون ويندب سال / لقد كنت أولى منك بالدمع مقلة / ولكن دمعي في الحوادث غال" .. (السجان يفتح باب الزنزانة فجأة) ..

السجان: أيها الشاعر المبجل! قلت إنك لا تريد الحبس منفرداً، حسناً خذ هذا الصعلوك العربي .. (يقذف بالتاجر قاسم إلى داخل الزنزانة)

أبو فراس الحمداني: (ينتصب واقفاً، يسير باتجاه التاجر قاسم بهدوء، يرفعه من على الأرض بيديه، ثم يخاطبه متأملاً ثيابه المغبرة) .. كيف حالك، من أي البلاد أنت يا أخ العرب؟

التاجر قاسم: (محاولاً النهوض) بلادي .. بلادي شرق الجزيرة العربية، لقد ظفروا بي هذه المرة .. هؤلاء الأوغاد

أبو فراس الحمداني: حال العرب لم تعد تسر سوى الأعداء، لو لم نكن متفرقين ومجزأين كقطعان الشاة لما أمسينا أنا وأنت هنا، قل لي: هل زرت حلب؟

التاجر قاسم: وهل جاء بي إلى هنا غير حلب!

أبو فراس الحمداني: أنت ناغم عليها إذا؟

التاجر قاسم: أكذب عليك إن قلت: لا، وأكذب عليك إن قلت: نعم، إنها حلب، جوهرة هذه الأرض الشهباء ..

أبو فراس الحمداني: (يستدير متجهاً إلى الجدار يضرب قبضته بجدار الزنزانة) فماذا أقول أنا إذاً، ماذا أقول؟!

التاجر قاسم: ربما أتى الله بي إلى هنا لأسمع ما تقول، أيها الفارس الشاعر، العرب تحفظ أشعارك عن ظهر قلب وترونها في المدن وفي القوافل السائرة ..

أبو فراس الحمداني: وما الفائدة؟ الفارس أسير، وحصانه مقيد بين أحصنة الأعداء، أما شيعره .. فلا أحد يسمعه الآن سوى هذه الحمامة (مشيراً إلى الحمامة الراقدة في عشاها على حافة النافذة) ..

التاجر قاسم: سمعت أن الأمير سيف الدولة سوف يفتديك، هكذا سمعتهم يقولون حين كنت في الطريق إلى حلب

أبو فراس الحمداني: يقولون ذلك منذ أربع سنوات، كلام الناس شيء وكلام الأمراء شيء آخر، (يشير مرة أخرى إلى الحمامة) حتى هذه الحمامة صارت تفهم حزني ووجعي، إنها لا تبحر المكان، لأنها اعتادت عليه، أما أنا فيقتلني الشوق كل يوم، لو قدر لي وعدت إلى حلب، فسوف أخذها معي إلى هناك ..

التاجر قاسم: (ممازحاً) تنغد من الأسر لتأسر هذه الحمامة المسكينة!

أبو فراس الحمداني: (متطلعاً إلى الحمامة) لن تكون أسيرة في قصري، سوف أكرمها .. وسأترك لها حق العودة إلى بلادها متى شاءت ..

التاجر قاسم: هذا إن استطاعت أن تعود .. فالحرية لا تقدر بثمن، إنها ليست بالقصور ونعومة العيش، وليس لأحد أن يتكرم بها .. عفواً أيها الأمير الشاعر، أرجو ألا أكون قد أثقلت عليك .. أنا أتحدث بفطرتي وعلى سجيّتي

أبو فراس الحمداني: لا لم تثقل، هي ليست فطرتك وحدك بل فطرة جميع الخلائق، ولكن ..

التاجر قاسم: (ضاحكاً) هي المشكلة هنا، في (ولكن) .. نحن لا نشعر بالمصيبة إلا إذا وقعنا فيها، ونحن لا نحب للآخرين مثلما نحب لأنفسنا .. من يملك زمام الأمر يمضي بالأمر على هواه ..

أبو فراس الحمداني: ربما، ولكن لندع هذا الحديث إلى حينه أيها الأسير .. فقد ذكرتني بحلب، إن بساتينها تترأى أمام ناظري الآن .. أشجار التين والفسق والعب، كل بيوت حلب تلوح أمام عيني .. خاناتها، حدائقها، مساجدها وكنائسها، نهرها وهوائها العليل وكل ذرة تراب فيها ..

التاجر قاسم: لهذا كله أود أن أسمع آخر ما قلته فيها ..

أبو فراس الحمداني: "لقد طفت الآفاق شرقاً ومغرباً/ وقلبت طرفي
بينهما متقلبا/ فلم أر كالشهباء في الأرض منزلاً/ ولا كقويق في المشارب
مشربا"

التاجر قاسم: (بإعجاب) يا الله. أين أنت يا صديقي سلطان؟ لتسمع
بنفسك ما يقوله الشاعر أبو فراس

أبو فراس الحمداني: ومن سلطان هذا؟

التاجر قاسم: (ضاحكاً) إنه صديقي، تاجر الخدازيف والصابون!

أبو فراس الحمداني: يبدو أنكما تحبان الشعر .. سوف أسمعك أبياتاً
أخرى (يفتح لفافة الورق وينشد منها الأبيات) .. "أراك عصي الدمع،
شيمتك الصبر/ أما للهوى، نهى عليك ولا أمر" ..

(ينبعث صوت المطربة أم كلثوم بقصيدة أبي فراس الحمداني من
المطلع التالي: "بلى، أنا مشتاق وعندي لوعة/ ولكن مثلي لا
يذاع له سر .."، تخفت الإضاءة تدريجياً إلى أن يسود الظلام فضاء
المسرح ثم تعود الإضاءة تدريجياً أيضاً، كأن يوماً مر وجاء الصباح ..)

التاجر قاسم: هل أنا حقاً مع أبي فراس الحمداني، الفارس والشاعر
الشهير بين جميع العرب، يا الله كم الدنيا صغيرة، أنا غير مصدق ما تراه
عيناى!

أبو فراس الحمداني: صدق، صدق ذلك يا قاسم، ما دامت حال العرب
والمسلمين على ما هي عليه فلا تعجب .. حتى لو أشرقت الشمس غداً
من جهة الغرب!

التاجر قاسم: ولكن .. الأمير سيف الدولة نال من الرومان كثيراً، لقد
دوخهم، وهم يحسبون له ألف حساب

أبو فراس الحمداني: صحيح، ولكننا، نحن العرب، لا نطمع بدولتهم كما
يطمعون هم بحلب وحمص ومصر والعراق وبلاد المغرب وحتى الجزيرة
العربية .. فقط لو يتآلف الأمراء العرب فيما بينهم، لخاف العدو منهم ورهب
جانبهم على الأقل، وهذا يكفي

التاجر قاسم: (مخفضاً صوته) أتعرف كيف جئت إلى هنا؟

أبو فراس الحمداني: كيف؟

التاجر قاسم: أراد القائد الروماني، أن أبيع حلب، طعام أهلها ومؤنهم، حاولت خداعه ومجاراته، ولكنه لم يصدقني، الرومان أذكاء، وأظن أنهم يفكرون الآن بمبادلتك لقاء مبلغ كبير من المال، بالإضافة إلى العديد من أسراهم لدى الأمير سيف الدولة

أبو فراس الحمداني: (بحرقة) سيف الدولة! .. سيف الدولة مشغول بما هو أهم مني الآن، ثم أنني لا أظن أن أسيراً مقيداً منذ سنوات عند الرومان هو مهم بالنسبة إليهم لهذه الدرجة

التاجر قاسم: هو كذلك بالفعل، هم يعرفون أنك ابن عم الأمير، وأنتك الفارس الشجاع والشاعر الشهير

أبو فراس الحمداني: كنت كذلك قبل أن أرمى في هذه الزنزانة الكالحة

التاجر قاسم: سوف تخرج منها، صدقني، لا بد أن تخرج، وتعود إلى وطنك، فكم فارس ستنجبه العرب بمثل شجاعتك، وكم شاعر مثلك ستنجبه حلب، إن قصائدك تأتيك كأسراب الحمام، مع القوافل وهواء الشام .. يرويها البعيدون عن أرضهم والعاشقون، لا بد أن تعود ..

(يسدل الستار)

المشهد الخامس

مجلس الأمير سيف الدولة الحمداني، أبهة وفخامة، الأمير سيف الدولة يجلس على كرسيه المرصع بالجواهر على يمين المسرح باتجاه يسار المسرح، شعراء وأدباء وعلماء يجلسون في مقاعدهم متقابلين، في الجهة المقابلة للجمهور على التوالي: الشاعر أبو فراس الحمداني والتاجران قاسم وسلطان والشاعر الوأواء الدمشقي والعالم اللغوي ابن خالويه والفيلسوف الفارابي والعالم النحوي ابن جني، وفي الجهة الأخرى (ظهورهم للجمهور)، الشاعر الكبير أبو الطيب المتنبي، وأبو الفرج الأصفهاني مؤلف كتاب الأغاني، وآخرون ..

المتنبي: (ينشد قصيدته وهو جالس، بينما يرمقه أبو فراس بطرف عينه، مبدئاً ما يشبه الامتناع وعدم الاكتراث، وكذا ابن خالويه، أما ابن جني والفارابي والتاجران قاسم وسلطان فيتطلعون إلى المتنبي بإعجاب وهو يلقي القصيدة بصوته الجهوري، شديد الحماس والاعتداد بالنفس ..)
"تمر بك الأبطال كلمى هزيمة/ ووجهك وضاح وثرعك باسم/ ولست مليكاً هازماً لنظيره/ ولكنك التوحيد للشرك هازم/ تشرف عدنان به لا ربيعة/ وتفتخر الدنيا به لا العواصم/ لك الحمد في الدر الذي لي لفظه/ فإنك معطيه وإنني ناظم/ وإنني لتعدو بي عطاياك في الوغى/ فلا أنا مذموم ولا أنت نادم" ..

سيف الدولة: (ينظر إلى المتنبي مبتشاً، ثم يلتفت إلى ابن عمه الفارس والشاعر أبي فراس الحمداني) حمداً لله أننا ظفّرنا بتحريك من الأسر، قل لي يا أبا فراس، هل نظمت شعراً بعد الفكاك من أسر الرومان

أبو فراس الحمداني: مولاي، مازلت كلماتي تنفض غبار الرحلة من القسطنطينية إلى هنا .. (يعم المجلس الضحك المبالغ في تأديه) .. وكما تعلم، مولاي الأمير، فقد كنت أتعلم الرومانية ونسيت شيئاً من لغتي العربية هناك، وقد كان ذلك ضرورياً حتى أمتدح الإمبراطور نقفور في مجلسه .. (ناظراً إلى الشاعر المتنبي).

سيف الدولة: (ضاحكاً) لقد علمك الرومان طريقتهم في الدعابة، وهل امتدحت نقفور هذا فعلاً؟!

(يعم الضحك المجلس مرة أخرى ولكن بصورة أكثر مبالغة في التأديب والمجاملة، الجلساء لا يكفون عن ترتيب هندامهم، وهم يبشون بين يدي الأمير سيف الدولة)

أبو فراس الحمداني: (جاداً) لو كان الأمر يتعلق بنقفور لهان الأمر، ولكنني أرى أنك تصارع روما أيها الأمير!

التاجر قاسم: (هامساً في أذن أبي فراس) دمرت الرجل، لا تنفخ رأسه هكذا، وتأكل بعقله حلاوة!

أبو فراس الحمداني: (يرد عليه هامساً) أو تريد لهذا المتنبي أن يتفوق علي بنفاقه؟!

التاجر قاسم: لكن الأمير ابن عمك، وأنت تقوده إلى التهلكة بهذه العبارات الطنانة الرنانة، خسارته خسارة لك، وللدولة بأسرها

أبو فراس الحمداني: اسكت الآن يا قاسم، اسكت! الأمير سيف الدولة يعلم أننا نناق، وهو يحب ذلك، دعنا نكمل اللعبة!

سيف الدولة: (ينفض واقفاً بعد برهة تأمل) نقفور يعلم جيداً أن سيف الدولة يصارع وحده، وأن ساحة الوعي خالية إلا من جيشه، ولكننا سوف لن نستسلم، إننا .. "محكومون بالأمل" ..

ابن خالويه: ولكن بعد إذن مولاي. الشاعر أحمد (قاصداً المتنبي) لم يقل لنا ما معنى مدحه لمولاي الأمير بقوله: "ولا أنت نادم؟ فمتى كان الأمير سيف الدولة يندم على ما يكرم به؟

المتنبي: لست مضطراً لشرح ما هو بديهي، كما أنني لم أعد بحاجة لإعطاء الدروس في البلاغة والأدب لمن لا يحسنون الفهم، خصوصاً بعد أن كرمني مولاي سيف الدولة بملازمته في مجلسه، ولكن على أي حال إذا استعصى الأمر عليك، فاسأل ابن جني، فهو أعرف بشعري مني!

ابن جني: هذا شرف أستحقه!

(يضج المجلس بالضحك بمن فيه سيف الدولة، يحنق ابن خالويه الذي يشعر أنه خسر جولة مع غريمه المتنبي، فيغير مجرى الحديث إلى منحى آخر)

ابن خالويه: على أي حال ثمة ما هو أهم من "هرطقة" الرومان هذه، فقبل دخولي إلى مجلس مولاي كانت قد وصلتني حمامة زاجلة من الموصل، وتقول رسالتها إن التظاهرات عمت شوارع بغداد .. بل إن كثيراً من الناس تجمعوا أمام قصر الخليفة "المطيع لله" وطالبوه بإعداد جيش وإرساله لمناصرة حلب .. أو أن يعتزل ليولوا خليفة غيره يستجيب لطلبهم ..

سيف الدولة: وقد صرفهم الخليفة بعد ذلك صرفاً قبيحاً! علمنا بذلك منذ أيام يا ابن خالويه ..

(يصمت ابن خالويه ويمصمص شفثيه، بينما يرمقه الآخرون بنظرة استياء)

الفارابي: فعلاً إنها معادلة من الدرجة الثانية، كيف لم يحسبها جيداً هذا الخليفة المعتوه؟!

الوأواء الدمشقي: مولاي الأمير، لو سمحت لي بالحديث .. لولا الغلاء في أسواق الشام، وخصوصاً البطيخ هذا الصيف، لتبرع كل أهل الشام بما يملكون لصد الأعداء

أبو الفرج الأصفهاني: (هامساً في أذن المتنبي) .. "يموت الزمار وأصابه تلعب"، هذا الوأواء الدمشقي لا ينسى أيام بيعه للبطيخ في شوارع دمشق .. حتى وقد أصبح شاعراً في بلاط سيف الدولة!

المتنبي: وكيف له أن ينسى يا أبا الفرج؟ من شب على شيء شاب عليه .. اكتب ذلك في كتاب "الأغاني" ليصير عبرةً عبر الزمان!

التاجر سلطان: (هامساً في أذن الوأواء الدمشقي) المتنبي شاعر عظيم، فقط لو لم يكن مغروراً

الوأواء الدمشقي: الناس طبقات يا سلطان، والمتنبي يعتبر نفسه من علية القوم، مع أن أباه كان يعمل سقاء في شوارع الكوفة ..

التاجر سلطان: يا للمهزلة!

الوأواء الدمشقي: (مكماً حديثه مخاطباً سيف الدولة) مولاي. الناس تعتمد على البطيخ في موسم الصيف، وقلة الأمطار في هذا العام زادت الطين بلة، الناس هناك نفوسهم منهارة ..

المتنبي: "إذا كانت النفوس كباراً/ تعبت في مرادها الأجسام"، وهل هذا وقت البطيخ يا وأواء؟!

ابن خالويه: (يتظاهر بالغضب الشديد .. يرفع سلسلة المفاتيح بيده اليمنى، يرمي بها المتنبي، فيشج رأسه، وتسيل منه الدماء) .. ومن تظن نفسك أيها المتنبي المغرور؟ وهل ثمة رأي في هذا المجلس سوى رأي مولاي الأمير؟

المتنبي: (ينتفض ويهم بالخروج غاضباً، بينما يسود الهرج داخل المجلس، والأمير سيف الدولة صامت، مكتفياً بهز رأسه تعبيراً عن الأسف مما وقع، يزداد غضب المتنبي، وعندما يصل إلى باب المجلس والدم ينز من جبهته، يستدير منشداً): "وسوى الروم خلف ظهرك روم/ فعلى أي جانبك تميل"

(يخرج المتنبي وفي الأثناء يصطدم به حاجب الأمير سيف الدولة قادمًا بهلع من باحة القصر)

حاجب سيف الدولة: (يدخل مسرعاً باتجاه الأمير، يوشوشه عندما يصل إليه) مولاي، عيون المضيق أرسلوا يقولون إنهم شاهدوا أعلاماً وسفناً رومانية تقترب من الشاطئ، شمالاً من جهة خليج إنطاكية

سيف الدولة: إنها نذر الحرب من جديد، ولكنهم جاءوا عبر البحر هذه المرة، (صارخاً): استدع القادة!

حاجب سيف الدولة: حالاً مولاي .. (يهرول مسرعاً إلى الخارج)

(تطير حمامة بيضاء من داخل الكواليس باتجاه فضاء المسرح، وفي ذات اللحظة يدخل طفل، مندفعاً ولاهتاً وسط المجلس .. يتوقف قبالة الشاعر أبي فراس الحمداني)

الطفل: عماه، عماه .. حمامتك طارت!

أبو فراس الحمداني: (بحزن) لا بد أن تطير يا بني .. إنهم قادمون!

الوأواء الدمشقي: والبطيخ غال، والشتاء على الأبواب، وتجارة الصابون كسدت، لأن تجار نابلس تعلموا الصنعة، وها هم اليوم يبيعون الرطلين بسعر الرطل الواحد .. و"الحبل على الجرار"!

التاجر سلطان: (يهمس في أذن قاسم) هيا بنا .. سوف نتأخر عن موعد القافلة، الوقت يتداركنا!

التاجر قاسم: هل خفت يا سلطان؟ عيب، ماذا سيقولون عنا، هل تريدهم أن يتهموننا بالجبن

التاجر سلطان: بالجبن بالحلاوة لا يهم، ليس بمقدورنا أن نحارب، نحن لسنا محاربين يا قاسم .. أنسيت أننا وعدنا الأهل بالعودة في أسرع وقت ممكن؟

التاجر قاسم: لم أنس، ولكن سجن القسطنطينية علمني أشياء أنت لم تعرفها بعد!

التاجر سلطان: أفهم من كلامك أنك لن تعود مع القافلة؟

التاجر قاسم: لا لن أعود .. سأبقى مع سيف الدولة

التاجر سلطان: الرومان على الأبواب، إنهم قادمون!

التاجر قاسم: وهذا يزيدني إصراراً على البقاء

التاجر سلطان: اسمع ما أقوله لك .. الصابون في نابلس أرخص، وعندما نصل إليها ربما يكون قد ازداد رخصاً

التاجر قاسم: حتى لو باعوني إياه مجاناً، فلن أغادر حلب بعد الآن

التاجر سلطان: ألم تكن أنت صاحب فكرة الصابون، هل جئنا إلى هنا للحرب أم للتجارة؟

التاجر قاسم: الآن عرفت قيمة الصابون وتجارة الصابون؟ يا سلطان حلب اليوم في خطر وعلينا أن نبقى ..

التاجر سلطان: وهل تظن أنني لا أحبها، أنا أحب حلب مثلك، بل وأكثر منك، ولكن بقائي فيها لا يغير من الأمر شيئاً، إذا شئت فابق أنت، أما أنا فسأغادر .. وليقولوا عني إنني جبان وليقولوا عنك إنك كنت بطلاً

التاجر قاسم: ماذا قلت؟

التاجر سلطان: (يحك صدغه بيده) سوف يقولون عنك إنه مات بطلاً

التاجر قاسم: (بحسم) لا أنتظر ذلك، ولن أغادر

التاجر سلطان: (يقف متأهباً للخروج) أنت حر

سيف الدولة: إلى أين يا أخ العرب؟

التاجر سلطان: (مرتبكاً) مولاي موعد القافلة قد حان ولا بد أن تتحرك الآن

سيف الدولة: (موجهاً حديثه إلى قاسم) والتاجر قاسم أن يلحق بالقافلة أيضاً، أم أنه أحب الإقامة في حلب؟

التاجر قاسم: مولاي في هذه اللحظة، ليس حبي أو عدمه هو القضية، لقد أحببت فتاة رومانية وغادرت روما، وقد أعود إليها ذات يوم حراً ومنتصراً، لا أحد يعلم ما يخبئه القدر، أما حلب فهي قطعة من قلبي سواء بقيت فيها أم ارتحلت، ولكن أريد أن أدافع عنها بما أستطيع

سيف الدولة: نحن لا نطلب منك الرحيل بالطبع، على الرحب والسعة بك

التاجر قاسم: بُوركتَ مولاي وبُوركتَ حلب

سيف الدولة: (منادياً) أيها الحاجب

الحاجب: (يحضر حالاً) لبيك مولاي

سيف الدولة: أجزلوا له العطاء ولصديقه التاجر أيضاً

التاجر سلطان: مولاي نحن لا نريد مغادرة حلب، ولكننا اشتقنا إلى أهلنا هناك

سيف الدولة: (بعد هنيئة من الصمت) أعلم ذلك يا أخ العرب، وسوف يسافر معك التاجر قاسم، يكفي أنه قاسى مرارة الأسر من أجل حلب .. هيا يا قاسم تهيأ للسفر ولا تخش على حلب، فلها رب يحميها، وسيف الدولة وجنوده سيذودون عنها حتى آخر رمق

التاجر قاسم: لن أغادر .. لن أغادر حتى لو رميتني في السجن ألف سنة، وجاء "الأمريكان" أنفسهم إلى هنا!

(انتهت)